المحاضرة السادسة **ملحمة جلجامش**

تمهيد:

سبق أن تحدثنا في المحاضرة السابقة عن الملحمة باعتبارها جنس أدبي مكتمل الأجزاء، كما أنها **قصة منظومة طويلة موضوعها البطولة ولها أسلوب روائي راق يتراوح بين الإخبار والوصف والحوار والخطب ويلعب الخيال فيها دورا كبيرا، ومن بين هذه الملاحم نذكر ملحمة جلجامش التي تعتبر أقدم ملحمة في تاريخ الشرق القديم.**

**ما ذكرته الدراسات التاريخية حول الملحمة:**

أشارت الكثير من الدراسات التاريخية إلى أن أقدم أشكال الملاحم ازدهرت بالشرق الأدنى وتغنى بها السومريون القدماء خلال حروبهم الطويلة كملحمة "جلجامش" التي يرجع تاريخها إلى أكثر من ألفي سنة قبل الميلاد، ثم عني بها البابليون فيما بعد " إن هذه الملحمة دلت على أنها كتبت في عصور متقدمة من التاريخ البشري غرزت المعارف وأوضحت المعالم عن حياة شعب كان يقيم فوق أرض العراق ما قبل تاريخنا بآلاف السنين والتاريخ الذي يدل على تقويمها { 2100-2300ق م} إنها تراث فني راق يحكي طفولة الشعب الأكادي البابلي / ويكشف عن أسرار حضارته المخبوءة التي طواها تباعد الزمن في بلاد مابين النهرين"

ويستدل هؤلاء الباحثين ومؤرخي الأدب على ذلك بوجود أوجه تشابه بين ملحمة جلجامش والأوديسة والإلياذة، مما جعلهم يذهبون إلى تأثر هوميروس بملحمة جلجامش، ففيما يخص ملحمتي جلجامش والإلياذة نجد موت الصديق في كلتا لملحمتين يدفع بالفعل الملحمي إلى الأمام، فموت أنكيدو يدفع جلجامش إلى رحلة البحث عن الخلود، وموت باتروكس يدفع أخيل إلى المشاركة في الحرب التي كان قد انسحب منها.

أما ملحمتي جلجامش والأوديسة فيلاحظ أن الموضوع الرئيس فيهما هو البحث بحث البطل عن التجربة والخبرة وبحثه عن الخلود خلود الأعمال العظيمة حد المخاطرة بالحياة.

تعد ملحمة جلجامش من الملاحم أبرز الملاحم التي تحدث عنها الباحثون بكثرة وحاولوا مقارنتها بالملاحم الإغريقية القديمة ومع أن حوادثها ترجع إلى أزمان غابرة وبعيدة جدا، فإنها مثل الآداب العالمية الشهيرة متزال خالدة وذات جاذبية إنسانية هامة في جميع الأزمان والأمكنة ، لأن القضايا التي عالجتها لاتزال تشغل بال الإنسان وتفكيره وتؤثر في حياته العاطفية والفكرية مما جعل مواقفها وحوادثها مثيرة تأسر القلوب.

**ثانيا- وصف ملحمة جلجامش:**

**تعتبر ملحمة جلجامش البابلية القديمة متكاملة الأجزاء ومترابطة الأحداث، وتتضمن فكرة فلسفية ذات أهمية بالغة. فهي تصور نزوع الإنسان إلى محاولة التشبث بالحياة والحصول على الخلود، بدلاً من مصيره المحتوم بالموت.. وهو نزوع إنساني قديم وحديث، نقرأ عنه فى الأزمنة السحيقة، (المعابد المصرية والأهرامات) كما نراه واضحا في الأيام الأخيرة من حياة بعض زعماء العالم وأثريائه حتى اليوم .**

**لكن الملحمة – قبل ذلك – تعد تحفة أدبية نادرة ليس فقط بشخصياتها المتحركة، وإنما أيضًا بأحداثها المليئة بالمغامرات. ولا تكاد الدهشة تترك قارئها قبل أن ينتهي من قراءتها.**

**ولحسن الحظ أن لها – فى اللغة العربية – عدة ترجمات، أرى أن أفضلها هي ترجمة الأستاذ طه باقر، التي قدم لها بدراسة جيدة جدًا عن الآداب القديمة في العراق .**

**يقول طه باقر:" إن ملحمة جلجامش التي يصح أن نسميها بأو ديسة العراق القديم ، يضعها الباحثون ومؤرخو الأدب بين شوامخ الأدب العالمي ، وإذا تذكرنا ما قلناه في معرض مقارنتها بأقدم النماذج الأدبية العالمية أدركنا أن ملحمة جلجامش أقدم نوع من أدب الملاحم البطولي في تأريخ جميع الحضارات، وإلى هذا فهي أطول وأكمل ملحمة عرفتها حضارات الشرق الأدنى وليس ما يقرن بها أو يضاهيها من آداب الحضارات القديمة قبل اليونانّ**

**جاءت ملحمة جلجامش في اثنتي عشر لوحة مدونة باللغة البابلية التي ظهرت في القرن 17ق م، ويمكن تقسيمها إلى أربعة فصول:**

* **لقاء جلجامش بالبطل أنكيدو.**
* **مغامرات جلجامش مع أنكيدو.**
* **موت أنكيدو وحزن صديقه عليه وسعيه وراء الخلود.**
* **رحلة بحث جلجامش عن الخلود.**



**الملفت للانتباه فعلاً أنها ما زالت محتفظة بقوتها، وحيويتها، وتأثيرها البالغ فيمن يقرؤها، أو حتى من يعيد قراءتها. وهناك أسباب عديدة وراء ذلك. منها :**

**1- الصراع الإنساني المستمر حتى الآن ضد قوى الطبيعة والوحوش، ومحاولة التغلب عليها.**

**2- العلاقات المتشابكة بين بعض أبطال البشر والآلهة التي كانت تدير العالم.**

**3- استخدام أساليب المكر والخداع فى التوصل إلى الأهداف .**

**4- الصداقة الحميمة التي تكاد تصل إلى حد التماهى بين الأصدقاء.**

**5- احترام الأمومة، والطاعة المطلقة لتوجيهاتها.**

**6- الإصرار العنيد على تحقيق الرغبة البشرية في الأعمال المجيدة.**

**7- إغراء الأنثى للأبطال، ونجاحها أو فشلها في ذلك .**

**8- انتقام المرأة عند عدم تحقيق رغبتها في الحصول على الرجل الذي يعجبها .**

**9- تآمر الآلهة على البشر، والقيام بإغراقهم للتخلص منهم عن طريق طوفان شامل.**

**10- وجود بعض النوايا الطيبة لإنقاذ البشر من الطوفان ببناء سفينة للنجاة.**

**11- سعى الإنسان للحصول على نبتة الخلود حتى لا يلحقه الموت.**

**12- فشل بطل الملحمة فى امتلاك نبتة الخلود، والرجوع إلى بلده خاضعًا لقانون الحياة والموت .**

**13- وأخيرا تحتل الأحلام التي يراها النائم جزءًا هاما من أحداث الملحمة، والكثير منها يتحقق.**

**وفيما يأتي سنعرض بعض المقاطع قصد إبراز القيمة الإنسانية التي تحملها.**

* **المقطع الأول :**

**قالت نينسون العارفة بكل شيء**

**" إن رؤيتك كواكب السماء**

**وقد سقط أحدها عليك وكأنه شهاب السماءآنو**

**والذي أردت أن ترفعه فثقل عليك**

**والذي أردت أن تزحزحه فلم تستطع**

**وانحنيت عليه كما تنحني على امرأة، وجنت به ووضعته عند قدمي فجعلته أنا نظيرا لك**

**إنه صاحب لك يعين الصديق وقت الضيق**

**إنه أقوى من في البراري وعزمه مثل عزم آنو.**

**وأما أنك انحنيت عليه كما تنحني على امرأة**

**فمعناه أنه سيلازمك ولن يتخلى عنك**

**وهذا هو تفسير رؤياك"**

**فتح جلجامش فاه مخاطبا أمه وقال "**

**عسى أن يتحقق هذا الفأل العظيم فيكون لي صاحب."**

* **المقطع الثاني:**

**تلاقيا في موضع السوق**

**سد أنكيدو باب بيت العرائس بقدميه ومنع جلجامش من الدخول إلى الفراش**

**أمسك أحدهما الآخر وهما متمرسان بالصراع.**

**تصارعا وخرا خوار ثورين وحشيين**

**حطما عمود قانم الباب وارتج الجدار**

**وضل أنكيدو وجلجامش يتصارعان كالثورين الوحشيين**

**وحينما ثنى جلجامش ركبته وقدمه ثابتة في الأرض ليرفع أنكيدو**

**هدأت سورة غضبه واستدار ليمضي**

**ولما استدار يريد الذهاب بعدأن هدأ غضبه كلمه أنكيدو قائلا له:**

**" إنك الرجل الأوحد أنت الذي حملتك أمك ، ولدتك أمك ننسون البقرة الوحشية ورفع أنليل رأسك عاليا على الناس**

**وقدر إليك الملوكية على البشر.**

* **المقطع الثالث:**

**ولما لاح أول خيط من نور الفجر نهض جلجامش ونادى في صناع المدينة وصاح :**

**أيها الصفار النحاس والصانع والجوهري وناقش الأحجار الكريمة، اصنعوا تمثالا.**

**ثم نحت تمثالا لصديقه جاعلا صدره من اللازورد وجسمه من الذهب ونصب منضدة من الخشب القوي**

**وإناء من اللازورد مملوءة بالزبد وقرب ذلك إلى الشمس**

**وبدأ يندب صديقه ويرثيه:**

**على فراش المجد أضجعتك**

**وأجلستك على كرسي الراحة على يساري**

**كيما يقبل أمراء الأرض قدميك**

**سأجعل أهل " أوروك" بيكون عليك ويندبونك**

**وسيحزن عليك أهل الفرح وسأجعلهم يقربون أليك**

**وأنا نفسي بعد أن توسد الثرى سأطلق شعري**

**وسألبس جلد الأسد وأهيم على وجهي.**

**تشير المقاطع الثلاثة إلى موضوع هام في حياة الإنسان، إنه الصداقة القيمة الإنسانية التي لا**

**نستطيع الحياة بدونها، هذا وتزخر الملحمة بالعديد من القضايا التي سنشير إليها بعد تحليل بسيط للمقاطع السابقة الذكر.**

* **تحليل المقاطع:**

**تبين المقاطع السابقة نوع من التسلسل في الأحداث فالمقطع الأول يبين تفسير حلم جلجامش من طرف الإلهة ننسون العارفة؛ أم جلجامش بطل الملحمة الذي كان ثلثاه إله وثلثه الباقي بشر ،منبئة إياه بصداقة مستقبلية آتية ينعم بها فكانت هذه النبوءة بمثابة بشرى سارة ليعيش بذلك مرحلة انتظار لهذا الصديق.**

**أما المقطع الثاني فيصور بداية الصراع بين البطلين في سوق المدينة، لكن سرعان ما يكتشف الغريمان عبث هذا الصراع عندا يتبين كلا منهما تعادل قوتهما فلا غالب ولا مغلوب ، لينتهي هذا الصراع بعقد معاهدة محبة وصداقة دائمتين ويصيران بذلك خلين حميمين يلازم أحدهما الآخر؛إنها الصداقة التي أتاحت لجلجامش فرصة استيعاب نشوة الإنجاز الجماعي بدلا منفي عملية الفردي في عملية انتقال من الفردية إلى الجماعية ، وهي الصداقة التي كان لها وقع كبير في إحداث تغيير على مستوى شخصية جلجامش فبعد أن كان مضرب المثل في الظلم نجده يعزم مع خليله أنكيدو للمضي معا إلى غابة الأرز البعيدة التي يحرسها الوحش خمبابا رمز الشر؛ وهو الثور السماوي الذي أنزلته الآلهة قصد الانتقام من جلجامش بسبب رفضه الزواج من الإلهة عشتار.**

**أما المقطع الثالث فيحمل بين ثناياه رثاء جلجامش لصديقه أنكيدو الذي وافته المنية بعد أن وقع مريضا، فحزن من أجله جلجامش كثيرًا، وظل ملازما له بجوار فراشه يناجيه ويحاول التخفيف من آلامه، لكن الموت اختطفه من صديقه. وهنا بدأ يظهر الحزن العميق على جلجامش، ليقوم برثائه رثاء مؤثرا، وراح يجوب الصحارى والقفار غاضبا وخائفًا من الموت ، الذي اختطف أعز صديق له !**

**فراح يرثيه رثاء حزين دال على مدى تعلقه وأساه لفراق صديقه، فلم يجد وسيلة إلا بتكريمه وإقامة تمثال له، وظل بعد ذلك يندب حظه على فقده لتكون وفاته بالنسبة إليه هي السبب الرئيسي في مغامراته الأخيرة بحثا عن الخلود والبقاء.حيث قرر أن يتغلب على مصير الموت الذي ينتظره فقام بمغامرته الكبرى والأخيرة، حتى حصل على نبتة الخلود، لكن حيّة اختطفتها منه لنفسها، وأصبحت تجدد جلدها كلما يسقط .. وتحولت إلى رمز لفن الطب والصيدلة حتى اليوم !!**

* **قضايا الملحمة الرئيسية :**

**تصرح ملحمة جلجامش بعدد من القضايا الهامة التي ما زالت مطروحة على الإنسانية حتى اليوم، كما أنها تثير قضايا أخرى تستحق الوقوف عندها، والتفكر فيها نظرًا لما تثيره من أسئلة، وتحمله من دلالات. وفيما يلي قائمة بأهم القضايا الكبرى التي تناولتها الملحمة بصورة مباشرة :**

**البطولة. 1-**

**2- الصداقة**

**3-المغامرات ومواجهه الصعاب.**

**4-الحيلة واستغلال الإغراء.**

**-الانتقام.**

**6-الموت ورثاء الصديق.**

**7-الأحلام وشفافيتها.**

**8-عقاب الآلهة للبشر.**

**9-الرغبة في الخلود.**

**10-أهوال العالم السفلى.**

* **أهم شخصيات الملحمة :**

**جلجامش : الشخصية الرئيسية. حاكم مدينة أوروك، سخّر رعيته كلها في بنائها، وتحصين أسوارها من الداخل والخارج، وعدّد أسواقها ، وهو مزيج من عنصر إلهي (من ناحية أمه) وعنصر بشرى (من ناحية أبيه). قوى البنية، جميل الطلعة.يحب المغامرة، ولا يخشى الوحوش والمصارعين.**

**أنكيدو : إنسان متوحش، خلقته الآلهة لمنافسة جلجامش، لكنه بعد الصراع معه أصبح أخلص أصدقائه. وقاما معًا برحلات صعبة، ودخلا في مغامرات عنيفة. كان يعيش بصورة وحشية فى الغابات، يصارع الوحوش، ويأكل الأعشاب، ويشرب مع الظباء من منابع المياه.**

**ننسون: أم جلجامش، حكيمة الحكيمات. وقد ساندت ابنها كثيرًا. وباركت صداقته مع أنكيدو**

**.خمبايا : العفريت المارد، الذي كان مكلفا بحراسة غابة الأرز، قوى جدا، من خلق الإله انليل**

**شمس الإله الذي كان يتضرع له جلجامش لحمايته.**

**أنليل: اله كبير. هو الذي قرر عقاب جلجامش، وموت صديقه إنكيدو. كما كان هو صاحب قرار إغراق البشر بالطوفان.**

**عشتار : إلهة جميلة ومدللة. تزوجت أكثر من مرة ، وعندما أعجبت بجلجامش عرضت عليه الزواج منها، مع الكثير من الهدايا والعطايا، لكنه رفض بشدة، وأهانها فصعدت إلي أبيها لكي ينتقم لها، فأعطاها مقود الثور السماوي ليقتل جلجامش وصديقه ،! لكنهما تغلبا عليه وذبحاه، وتقربا بقلبه إلى الإله شمس .**

**البشر العقارب :رجل وزوجته، كان يحرس الجبل العظيم الذي يحمى مشرق الشمس ومغربها.**

**سدورى : صاحبه الحانة التي حاورت جلجامش، ودلته علي الطريق الذي يوصله إلى هدفه.**

**أور– شنابى: الملاح الذي صحب جلجامش لعبور البحر، حتى بلوغ مياه الموت.**

**أتو بنشتم : الإنسان الذي أنقذ البشر من كارثة الطوفان بواسطة بناء سفينة كبيرة ، والذي منحته الآلهة بعد ذلك صفة الخلود بشرط أن يعيش مع زوجته بعيدا عن البشر عند منبع الأنهار.**

**المراجع:**

**طه باقر ملحمة جلجامش أوديسة العراق الخالدة الذي افتتحه بمقدمة تحدث فيها عن أدب وادي الرافدين القديم والتعريف بالملحمة.**